العدد 1954 - السنة السابعة
الجمعة 10 ذو القعدة 1435 - الموافق 5 سبتمبر 2014
Friday 5 September 2014 - No.1954 - 7th Year

هل الكسوف والخسوف غضبٌ أم تخويف أم ظاهرة طبيعية؟

«كثر الحديث عن هذا الموضوع في هذه الأيام، ونحن حديثو عهد بخسوف القمر في منتصف محرم، واستاء الناس كثيرا من تصريح لأحد الفلكيين السعوديين في إحدى الصحف المحلية عندما قال : «وكان الناس في الماضي يعتقدون أشياء لا أساس لها من الصحة، فكانوا ينسبون هذه الظواهر لغضب الرب، إلا أن الأبحاث العلمية في العصر الحديث بينت أن الخسوف يحدث عندما تقع الشمس والأرض والقمر جميعها على امتداد واحد...» ولست أسيء الظن بهذا الفلكي، وإنما أراه اجتهد اجتهادا مبنيا على الجهل بالجانب الشرعي لهذه القضية المحكومة بعدد من الأحاديث النبوية التي بلغت أعلى درجات الصحة والقبول فهي في صحيح البخاري وصحيح مسلم أو فيهما معا، فلا يحسن بمسلم مهما بلغ من منزلة في علم الفلك أو غيره من العلوم أن يتجاهل مثل هذه الأحاديث حتى ولو لم يكن يعرف كنهها والمراد منها، ويكفيه أنها صادرة عن الرسول – صلى الله عليه وسلم –، الذي زكاه ربه بقوله : «وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى × إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى» النجم: 3،4، وأوجب علينا اتباعه والأخذ عنه بقوله تعالى : «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا» الحشر: 7 أليس الرسول – صلى الله عليه وسلم – هو الذي فصّل لنا أحكام الصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها، من حيث العدد والوقت والكيفية والهيئة وغير ذلك ؟ فكيف نستسلم لهذه الأحكام طائعين مختارين في حياتنا اليومية دون سؤال أو اعتراض أوافتيات؟، ثم بعد ذلك نفتات عليه ونتجاوز في أحكام الكسوف والخسوف، وقد نقل عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه لما كسفت الشمس فزع فزعا شديدا، قال أبو موسى – رضي الله عنه –: «خسفت الشمس فقام النبي فزعا يخشى أن تكون الساعة فأتى المسجد فصلى بأطول قيام وركوع وسجود رأيته قط يفعله، وقال : هذه الآيات التي يرسل الله لا تكون لموت أحد ولا لحياته ولكن يخوف الله بها عباده، فإذا رأيتم شيئا من ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره» رواه البخاري ومسلم.

وقد بلغ من فزعه – وهو أعلم الناس بربه – أنه أخطأ فلبس رداء بعض نسائه، كما قالت أسماء – رضي الله عنها – : «فأخطأ بدرع حتى أدرك بردائه بعد ذلك» رواه مسلم. ومن مظاهر فزعه – عليه الصلاة والسلام –، إطالته الصلاة طولاً غير معهود، مع أنه يأمر بالتخفيف، قال جابر – رضي الله عنه –: «فأطال القيام حتى جعلوا يخرّون» رواه مسلم. وأكدت ذلك أسماء – رضي الله عنها – بقولها : «فأطال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، القيام جدا حتى تجلاني الغشي، فأخذت قربة من ماء إلى جنبي فجعلت أصب على رأسي أو على وجهي من الماء» رواه البخاري ومسلم. وفي الموضوع أحاديث صحيحة أخرى رواها البخاري ومسلم عن عائشة – رضي الله عنها –، وعن أبي بكرة، وعن أسماء وفيها أمر بالصلاة والذكر والاستغفار والصدقة والتعوذ من عذاب القبر، بل والعتق، فقد روى البخاري عن أسماء – رضي الله عنها – قولها : «لقد أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – بالعتاقة في كسوف الشمس».

فأي كتاب عندنا بعد كتاب الله أصح من صحيح البخاري ومسلم؟، فهل نصدق قول الرسول وعمله الذي نقل إلينا من نسائه وصحابته نقلاً صحيحا بحركاته وسكناته، أم نصدق صاحبنا الفلكي الذي علم شيئا قليلا فجزم به وتجاهل أمورا أخرى مهمة في الموضوع لا يحسن بمثله تجاهلها، خصوصا وأنه قد وقع في مثل هذه الهفوة في منتصف صفر من العام الماضي، ورد عليه الشيخ العلامة د. صالح الفوزان وأبان له الصواب في ذلك، نسأل الله لنا وله الهداية وسائر المسلمين؟.

وهذه القضية – لمن بحث عن الحق – ليست من القضايا المبهمة أو الشائكة أو المغمورة، خصوصا في ظل ثورة المعلومات عبر شبكة الإنترنت العالمية، ومن نعم الله علينا أن علم علماءنا الراسخين الأحياء منهم والأموات قد قيّض الله له من يخدمه ويقربه لطالبيه عبر مواقع أنشئت لهذا الغرض، ولا يكلفك استفتاء علامتنا الكبير سماحة الشيخ ابن باز، أو سماحة تلميذه العلامة ابن عثيمين أو غيرهما إلا لمسة زر تدخلك إلى موقعه الجميل المرتب المبوّب، وفي هذا الموضوع يقول الشيخ ابن باز – رحمه الله – : «وما يقع من خسوف أو كسوف في الشمس والقمر ونحو ذلك مما يبتلي الله به عباده هو تخويف منه سبحانه وتعالى وتحذير لعباده من التمادي في الطغيان، وحث لهم على الرجوع والإنابة إليه...» ويقول: «وكونها آية تعرف بالحساب لا يمنع كونها تخويفاً من الله جلّ وعلا وأنها تحذير منه سبحانه فإنه هو الذي أجرى الآيات، وهو الذي رتب أسبابها...»، وسئل الشيخ ابن عثيمين عن اثنين تنازعا في الكسوف : أهو غضب من الله، أم تخويف منه؟، فقال سماحته: «المصيب من قال إنه تخويف لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – صرح بذلك، فقال : يخوف الله بهما عباده، لكن قد يكون هذا التخويف لعقوبة انعقدت أسبابها، ولهذا أمر الناس بالفزع إلى الصلاة والدعاء والاستغفار والصدقة والتكبير...».

وقد أشبع هذا الموضوع بحثا في مواقع الإنترنت، وقد استفدت كثيرا من خطبة الشيخ إبراهيم الحقيل، ومن موضوع لـ «فتى الفلك» موجودين في عدد من المواقع، وإني لأعجب كيف تخفى هذه القضية على حبيبنا الفلكي، وأهل الفلك أكثر الناس علما بعظمة هذا الكون ومجراته وكواكبه ونجومه، والطبيعي أن يكونوا أكثر الناس رهبة وخوفا من أي تغيير يحصل فيه صغيرا كان أم كبيرا، وكان الله سبحانه وتعالى – وله المثل الأعلى – يقول لنا: هذه الكواكب تسير أمامكم ليلا ونهارا بإتقان بديع، وقد تخرج عن مسارها سويعات، فأي قوة في الأرض تستطيع أن تخرجها ؟ وأي قوة تستطيع أن تعيدها إذا خرجت ؟، ولعل هذا هو معنى قوله تعالى: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ × قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ × وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» القصص: 71،73.

بلى والله سنشكرك يا ربنا ونحمدك ونثني عليك بما أنت أهله، ولا يسعنا إلا ما وسع رسولك وحبيبك – صلى الله عليه وسلم – الذي شرفته بقولك: «وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا» النساء: 113، وصدق الله العظيم في قوله الكريم: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» فاطر: 28.

نسأل الله أن يزيدنا منه خشية ورهبة، وفيه رجاء ورغبة.

كيف تتغير إلى الأحسن ؟

« العاقل دائما يتوق إلى أن يغير نفسه ويطورها إلى الأحسن والأفضل » ومجرد تفكيرك في التغيير يعد – بحد ذاته – نوعا من التغيير لأن هناك أنواعا من الناس ألفوا حياة الغفلة، واستساغوا مسيرة الضياع، واستحسنوا طريق الشهوات، فهم لا يبحثون عن التغيير : بل لايتصورون ترك هذه الحياة التي يعيشونها طرفة عين، ولذلك فإنهم لا يشعرون بألم البعد عن الله، ولا يحسون بوحشة مجافاة منهجه، وهؤلاء موتى في صورة أحياء، لا يعرفون معروفا، ولا ينكرون منكرا، إلا ما أشربوا من هواهم، كما قال الله تعالى عنهم: «وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ» 179، سورة الأعراف.

وكما وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ، عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا، كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ» أخرجه أحمد 5/386، 23669، و«مسلم» 1/89، 286.

ولكن التفكير في التغيير المطلوب : بل إن الاكتفاء بهذا التفكير دون إحداث خطوات عملية نحو التغيير الحقيقي يجعل هذا التفكير مجرد أماني باطلة لا تنفع صاحبها : بل هي رأسمال المفاليس كما يقال .

أما الخطوات العملية نحو التغيير فيمكن إجمالها فيما يلي:

1 – الاستعانة بالله عزّ وجلّ:

والاستعانة بالله عزّ وجل من أهم المهمات في مرحلة التغيير، فهي تعني الخروج من الحول والقوة وطلب الحول والقوة والمعونة من الله تعالى، ولأهمية الاستعانة بالله عزّ وجل أمر الله عبادة أن يقولوا في كل ركعة من ركعات الصلاة «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» ومن الاستعانة بالله عزّ وجل أن يكثر مريد التغيير من دعاء الله عزّ وجل بالتوفيق والثبات على الطريق، واللجوء إلى الله عزّ وجل وكثرة ذكره وشكره، وتلاوة كتابه .

قال تعالى: «وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا» 3، سورة الطلاق .

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمًا فَقَالَ: يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ. أخرجه أحمد 1/293، 2669».

روى: أن رجلاً تزوّج امرأة من بلدة، وكان بينهما مسيرة شهر، فأرسل إلى غلام له من تلك البلدة ليحملها إليه فسار بها يوما، فلما جنّه الليل آواه الشيطان فقال له: إنّ بيتك وبين زوجها مسيرة شهر فلو تمتعت بها ليالي هذا الشهر إلى أن تصل إلى زوجها، فإنها لا تكره ذلك وتثني عليك عند سيدك فتكون أحظى لك عنده، فقام الغلام يصلي فقال: يا رب، إنّ عدوك هذا جاءني فسوّل لي معصيتك، وإنه لاطاقة لي به في مدة شهر وأنا أستعيذك عليه يا رب فأعذني عليه، واكفني مؤونته، فلم تزل نفسه تراوده ليلته أجمع وهو يجاهدها حتى أسحر فشد على دابة المرأة وحملها وسار بها، قال: فرحمه الله تعالى، فطوى له مسيرة شهر فما برق الفجر حتى أشرف على مدينة مولاه، قال: وشكر الله تعالى له هربه إليه من معصيته فتباه، فكان نبيا من أنبياء بني إسرائيل. قوت القلوب 2/235.

قال الشاعر:

إلهي ما سألت سواك عونا × × × فحسبي العون من رب قدير
إلهي ما سألت سواك عفواً × × × فحسبي العون من رب غفور
إلهي ما سألت سواك هديا × × × فحسبي الهدي من رب بصير
إذا لم أستعن بك يا إلهي × × × فمن عوني سواك ومن مجيري

2 – العزيمة الصادقة:

بعد أن يتطلع القلب إلى التغيير لابد من العزيمة الصادقة على هذا التغيير : لأنه لولا هذه العزيمة سرعان ما يفتر القلب، ويزول عنه هذا الانزعاج، والعزيمة هي العقد الجازم على المسير في طريق الاستقامة، ومفارقة كل قاطع ومعوق، ومرافقة كل معين وموصل، فهي سبب في استمرار انزعاج القلب وانتباهه ورغبته في التغيير ، والعزيمة نوعان:

أحدهما: عزم الإنسان على سلوك الطريق وهو من البدايات .

والثاني: العزم على الاستمرار على الطاعات بعد الدخول فيها، وعلى الانتقال من حال كامل إلى حال أكمل منه، وهو من النهايات، وعون الله للعبد قدر قوة عزيمته وضعفها، فمن صمم على إدارة الخير : أعانه وثبّته.

ومتى صدق العبد في عزمه على سلوك طريق الطاعة والاستمرار فيه أعانه الله– عز وجل– بـ«البصيرة» وهي نورٌ يقذفه الله تعالى في قلبه يرى به حقيقة الأشياء ومحاسن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، ومساوئ المخالفة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، ويتخلص بالبصيرة كذلك من الحيرة والشك الذي يقطعه عن السير في طريق الهداية والاستقامة .

قال تعالى: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» 63، سورة البقرة .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ فَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا . وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ. أخرجه أحمد 2/366، 8777، و«مسلم» 8/56.

قال المتنبي:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ
وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا
وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ

3 – الجدية في المسارعة:

إن عملية التغيير ليست بالأمر اليسير، فإنها ميلاد جديد وحياة بعد موت، ولذلك فإنها تحتاج إلى صبر ومجاهدة، وبهذا الصبر والمجاهدة يتبين الصادق من الكاذب، فالصادق يتجرع مرارة الصبر، ويجاهد نفسه على طاعة الله عز وجل، ولا يزال في صبر ومجاهدة حتى تألف نفسه الطاعة، وتنفر من العصيان، أما الكاذب فإنه لا يقدر على ذلك، بل يستسلم لأول بارقة من فتنة، وينكص على عقبيه ويعود القهقرى . قال تعالى: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ» سورة العنكبوت: 69 .

عن أبي سعيد الخدري :إن ناسا من الأنصار سألوا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفد عنده، فقال: ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر.أخرجه «البخاري» 2/151، 1469، و«مسلم» 3/102، 2388.

وقال محمود الوراق:

تعزّ بحسن الصبر عن كل هالك
ففي الصبر مسلاة الهموم اللوازم
إذا أنت لم تسل اصطبارا وحسبة
سلوت على الأيام مثل البهائم
وليس يذود النفس عن شهواتها
من الناس إلا كل ماضي العزائم

5 – فقه الأولويات:

على طالب التغيير أن يقوم بتبديل اهتماماته وفقا لمنهج الإسلام الذي ارتضاه، فيترك ماكان عليه من اهتمامات باطلة ويجعل مكانها غيرها من الاهتمامات النافعة، مثال ذلك: يترك شرب الدخان والمكسرات والمخدرات، ويترك الممارسات المحرمة : كالزنا واللواط والعادة السرية والمعاكسات بأنواعها، ويترك سماع الغناء ومشاهد سموم القنوات، ويترك الكبر والغرور والسخرية والاستهزاء بالآخرين وترك المرأة التبرج والسفور وتغيير خلق الله عز وجل، وتترك ترك الصلاة والتهاون بها، وتترك مجالس الغيبة والسخرية والنميمة والكذب .

ويتجه الجميع إلى طاعة الله عزّ وجلّ وذكره وشكره ودعائه في السراء والضراء، ويتجهون إلى تلاوة كتاب الله عزّ وجل وحفظه وتدبره وتعلمه وتعليمه، ويلجؤوا إلى الصلاة والمحافظة عليها، وإلى حضور مجالس العلماء والقراءة في كتب أهل العلم إلى غير ذلك من الأمور الجادة التي تدل على صدق المرء في توجهه نحو التغيير الصحيح .

قال تعالى: «لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا» 95، دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا» 96، سورة النساء.

ومن وصية أبي بكر الصديق لعمر الفاروق رضي الله عنهما: إني مستخلفك من بعدي وموصيك بتقوى الله، إن لله عملا بالليل لايقبله بالنهار، وعملا بالنهار لا يقبله بالليل، وإنه لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة، فإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا، وثقله عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفا، إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم، وتجاوز عن سيئاتهم، فإذا ذكرتهم قلت إني أخاف أن لا أكون من هؤلاء. وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم، ولم يذكر حسناتهم، فإذا ذكرتهم قلت إني لأرجو أن لا أكون من هؤلاء، وذكر آية الرحمة مع آية العذاب، ليكون العبد راغبا راهبا، ولا يتمنى على الله غير الحق، ولا يلقي بيده إلى التهلكة، فإذا حفظت وصيتي فلا يكن غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك، وإن ضيعت وصيتي فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت ولست بمعجز الله.

قال المتنبي:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلى
مضر كوضع السيف في موضع الندى
ولكن تفوق الناس رأيا وحكمة
كما فقتهم حالا ونفسا ومحتدا

6 – تغيير الصحبة:

من المتعين على طالب التغيير – وهو في بداية الطريق – أن يقطع علاقاته بأهل الفساد والغواية ؛ لأنه إن استمر معهم لم يكن صادقا في توجهه نحو التغيير، وحتى إن لم يشاركهم في منكرهم شاركهم في الإثم بالجلوس معهم، والله تعالى يقول: «الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ» سورة الزخرف: 67. ويقول: «وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا × يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا» الفرقان: 27 – 28.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» – وفي رواية: الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ. أخرجه أحمد 2/303، 8015، و«الترمذي» 2378.

وقال الشاعر

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي
إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم
ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

فالصاحب ساحب والصديق مرآة لصديقه وفي بعض الأمثال: قل لي من تصاحب أقل لك من أنت .